سلسلة تفريغات شبكة بينونة

إطلالة على

بيت النبوة

الشيخ
د. هشام بن خليل الطرسني

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet @baynoonanetUAE www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغا

لمحاضرة بعنوان

إطلالة عَلَى بيت النُّبُوَّة

للشيخ:

د. هشام بن خليل الحوسني

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَىٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا؛ ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ:

⇦ ففي هذِه الليلة نقف بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ شيءٍ من سيرة نَبِيِّنَا ﷺ العطرة، وما جاء فيها من أحاديث وآثارٍ ثبتت عنه ﷺ، وشيءٍ من حياته وبيان هذِه الحياة السعيدة الآمنة المطمئنة المستقرة؛ لننهل من هذَا النبع الصافي، ونقتدي به ﷺ، كما أمرنا ربنا ﷻ في قوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[آل عمران: ٣١]، فنقف معاشر الفضلاء في هذِه الليلة مع شيءٍ مِمَّا جاء في سيرته ﷺ، وفيما يتعلَّق بحياته الزوجية والأسرية.

* فقد قَالَ الله ﷻ في كتابه الكريم مخاطبًا أمهات المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ، قَالَ: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٤]، يخاطبهن الله ﷻ آمرًا لهنَّ بأن يذكرن ما يُتلىٰ في بيوتهن من آيات القرآن، ومن سنَّة النَّبِيّ ﷺ، وَهذَا يشمل ذِكْر ألفاظه بتلاوته، وذِكر معانيه، والعمل بما أنزل الله ﷻ عَلَىٰ رسوله ﷺ، هو ما سمعنه في بيوتهن من الكتاب وَالسُّنَّة، كما قَالَ عددٌ من أهل العلم في تفسير هذِه الآية.

* واذكرن هذِه النعم، يخاطبهن الله ﷻ بقوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ أي: اذكرن هذِه النعمة الَّتِي خُصصتم بها من بين النَّاس، وهو: أنَّ الوحي ينزل في بيوتكن دون سائر النَّاس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الأحزاب: ٣٤] أي: بلطفه ﷻ بكن بلغتن هذِه المنزلة، وبخبرته بكن وأنكن أهل لذلك أعطاكن ذلك وخصكن به.

* قَالَ ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: (**وَاذْكُرْنَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُنَّ، بِأَنْ جَعَلَكُنَّ فِي بُيُوتٍ تُتْلَىٰ فِيهَا آيَاتُ اللهِ وَالْحِكْمَةُ، فَاشْكُرْنَ اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَاحْمِدْنَهُ**).

➢ فأمر الله ﷻ نساء نبيه ﷺ أن يخبرن بما يُنزِّل ربنا ﷻ من القرآن في بيوتهن، وما يرين من أفعال النَّبِيّ ﷺ، وما يسمعنه من أقوالٍ يبلغنها للنَّاسِ، حَتَّىٰ يعملوا بها ويقتدوا بها، وقد كانت زوجات النَّبِيّ

ﷺ من أحرص النَّاس عَلَىٰ نقل هذِه الآيات وَهذِه الحكمة الَّتِي تنزل في بيوتهن، فهن رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ الطيِّبات الطاهرات الحريصات عَلَىٰ تبليغ دين الله ﷻ، ونشر سنة النَّبِيّ ﷺ، وهكذا كان صحابة النَّبِيّ ﷺ بعد وفاته إذا أشكل عليهم أمرٌ؛ رجعوا فيه إِلَىٰ زوجات النَّبِيّ ﷺ، يسألونهن عمَّا اختلفوا فيه، ويجدون الجواب عن ذلك جوابًا واضحًا بما شاهدنه وسمعنه من نَبِيِّنَا ﷺ، وقد جاءت في هذَا قضايا عديدة، وأحاديث كثيرة:

- **منها**: مسألة من أصبح جُنُبًا في رمضان، هل له صومٌ أو لا؟
- **ومنها كذلك**: من جامع أهله ولم ينزِل، هل عليه غسلٌ أم لا؟

وأحاديث ومسائل كثيرة، لم يجدوا فيها نصًّا إِلَّا عند زوجات النَّبِيّ ﷺ؛ فلذلك كان يرجعون إليهن، ويجدون الجواب عند هؤلاء الصحابيات أمهات المؤمنين.

➢ يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ في "**إعلام الموقعين**": (**فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ بِسُؤَالِ أَهْلِ الذِّكْرِ، وَالذِّكْرُ هُوَ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ الَّذِي أَمَرَ اللهُ نِسَاءَ نَبِيِّهِ أَنْ يَذْكُرْنَهُ بِقَوْلِهِ ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾** [الأحزاب: ٣٤] **فَهَذَا هُوَ الذِّكْرُ الَّذِي أَمَرَنَا اللهُ بِاتِّبَاعِهِ، وَأَمَرَ مَنْ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَهُ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَىٰ كُلِّ أَحَدٍ أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ بِالذِّكْرِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ لِيُخْبِرُوهُ بِهِ، فَإِذَا أَخْبَرُوهُ بِهِ لَمْ يَسَعْهُ غَيْرُ اتِّبَاعِهِ، وَهَذَا كَانَ شَأْنُ أَئِمَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ**) إِلَىٰ أن قَالَ رَحِمَهُ اللهُ: (**وَكَذَلِكَ الصَّحَابَةُ كَانُوا يَسْأَلُونَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ خُصُوصًا عَائِشَةَ**) رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ أَجْمَعِيْنَ، (**يَسْأَلُونَ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ خُصُوصًا عَائِشَةَ عَنْ فِعْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِهِ**) انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

* وعائشة رضي الله عنها الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق أولاهن بهذه النعمة، وأحظاهن بهذه الغنيمة، وأخصهن من هذِه الرحمة العميمة، فإنَّه لم ينزل عَلَىٰ رسول الله ﷺ الوحي في فراش امرأةٍ سواها، كما نصَّ عَلَىٰ ذلك النَّبِيّ ﷺ وأخبر، قَالَ بعض أهل العلم: "**لأنَّه ﷺ لم يتزوَّج بكرًا سواها، فناسب أن تُخصَّص بهذه المزيَّة، وأن تُفرد بهذه المرتبة العليَّة**" رضي الله عنها وَأَرْضَاهَا.

☚ **والمتأمّل** في سيرة نَبِيِّنَا ﷺ وحياته الزوجية الطويلة مع عددٍ من النسوة، مع عددٍ من الزوجات؛ ليجد العجب العُجاب من حُسْن هذِه السيرة وجمالها وكمالها وحسنها، وَهذَا ليس بغريبٍ، فهو ﷺ كان مثالًا يُقتدىٰ في حُسْن الخُلُق وحُسْن العشرة، كما قَالَ ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[1]، وأهل العلم تتبعوا هذِه الحياة الزوجية الَّتِي كانت من النَّبِيّ ﷺ مع زوجاته، ومع استقصائهم لهذِه الأحاديث، ما وقفوا فيها عَلَىٰ أمورٍ قد تكدِّر صفو هذِه العيشة والعشرة الجميلة إِلَّا في حادثتين أو ثلاث أو نحو ذلك، وَهذَا إنْ دلَّ فَإِنَّمَا يدلُّ عَلَىٰ كمال عشرته وحسن أخلاقه ﷺ، وحسن كذلك تبعُّل زوجاته له رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ.

☚ وَالنَّبِيّ ﷺ كان كَثِيْرًا ما يوصي بالنساء، فيقول: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[2]، وسيأتي عرض شيءٍ من ذلك من خلال وقفاتنا مع شيءٍ من سيرته ﷺ، وَهذَا منه عليه السلام يدلُّ عَلَىٰ هذِه الأخلاق العالية، وأنه يراقب الله ﷻ في السر والعلن، وكذلك كانت زوجاته رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ حريصات أيّما حرصٍ عَلَىٰ إرضاء الله ورسوله، ومع كونهن بهذه المنزلة إِلَّا أنَّه قد حصل فيما نقل أهل العلم وفيما جاء في السُّنَّة بعض ما جاء يعني مِمَّا نُقل من الغيرة الَّتِي قد تكون موجودة في المرأة، وَهذَا إنْ دلَّ فهو يدلُّ عَلَىٰ أمرٍ قد فُطرت المرأة عليه بما رَكَز الله ﷻ في فطرة المرأة من الغيرة، وحب الاستئثار من الزوج، لكنهنَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ ما كُنَّ أن يتركن هذَا الأمر يمر هكذا إِلَّا ويسارعن بالرجوع إِلَىٰ الله ﷻ، والتوبة من الذنب إن حصل شيءٌ مِمَّا يخالف شرع الله ﷻ، كما أرشد إليه النَّبِيّ ﷺ هؤلاء الزوجات، وبيَّن لهنَّ الخير والهدىٰ في الموقف الَّذِي حصل في كل موقفٍ بحسبه.

* قَالَ ﷺ كما سمعنا، قَالَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي» فحريٌّ بنا معاشر الإخوة والأخوات أن نقف في هذِه الليلة عَلَىٰ تلك الحال الزوجية الهنيئة الطيبة المستقرة المطمئنة لحياة النَّبِيّ ﷺ مع زوجاته، وأن نقتدي بهذا النَّبِيّ الكريم ونقتفي آثاره؛ لتستقيم لنا حياتنا، وتهنأ لنا معيشتنا،

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٩٥)، وابن ماجه في سننه (١٩٧٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٨٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨١٦)، ومسلم في صحيحه (١٤٦٨).

ونكون فيها مطمئنين مستقرين، كما قَالَ الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، فتعالوا معاشر الفضلاء معًا لنُلقي شيئًا من الضوء عَلَىٰ هذِه السيرة العطرة، والحياة الجميلة الَّتِي عاشها نَبِيُّنَا ﷺ مع زوجاته الطيبات الطاهرات رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِنَّ.

☜ جاء في الحديث الَّذِي رواه سعد بن هشام بن عامر حين دخل المدينة، وأتىٰ إِلَىٰ عائشة رضي الله عنها، فسألها عن خُلُق النَّبِيّ ﷺ، فقالت: (**ألست تقرأ القرآن؟**) فَقَالَ: بلىٰ، فقالت: (**فإنَّ خُلُق النَّبِيّ ﷺ كان القرآن**) أي: أنَّه كان يتأدَّب بآداب القرآن، ويتخلَّق بأخلاقه، كما قَالَ الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، نعم نَبِيُّنَا ﷺ قد امتثل أمر الله ﷻ في السر وفي العلن، فتشير في هذَا الأمر إِلَىٰ أمرٍ هامٍّ يجب عَلَىٰ كل زوجٍ وكل زوجةٍ أن يراعوا هذَا الأمر، وهو: حُسْن الخُلُق، وحُسْن التعامل فيما بينهما؛ حَتَّىٰ تهنأ لهما معيشتهما.

⇦ وحُسْن الخُلُق معاشر الإخوة مِمَّا تطيب به الحياة، وَمِمَّا يكون سببًا في السعادة، وفي جلب الخيرات للنَّاسِ، وصاحب الخُلُق الحسن يهنأ في معيشته، وفي تعامله مع أسرته، وتعامله مع أبنائه، ويهنأ كذلك في تعامله مع سائر النَّاس.

⇦ أمَّا صاحب الخُلُق السيء فإنه يضيِّق ويكدر الأمر عَلَىٰ نفسه وعَلَىٰ أسرته، ويجعل الأمر الَّذِي قد يكون فيه سعة، وفيه ما فيه من الخير، يجد مع سوء خلقه ما يكون فيه من الضيق والكدر والنكد الَّذِي يعود عليه بالسوء والشر.

☜ يقول سلمة بن دينار رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ:

(السيء الخُلُق أشقىٰ النَّاس، به نفسه الَّتِي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثُمَّ زوجته، ثُمَّ ولده، حَتَّىٰ إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرورٍ، فيسمعون صوته فينفرون عنه فرَقًا منه، وَحَتَّىٰ إنَّ دابته تحيد مِمَّا يرميها بالحجارة، وإنَّ كلبه ليراه فينزو عن الجدار، حَتَّىٰ إنَّ قطه ليفر منه) هكذا سيء الخُلُق يجد صعوبة في معيشته، حَتَّىٰ عَلَىٰ نفسه؛ فلذلك معاشر الفضلاء ينبغي علينا، بل يجب علينا أن نراعي مسألة الأخلاق الحسنة، وأن نتخلَّق بالأخلاق الإسلامية الجميلة، الَّتِي أرشدنا إليها النَّبِيّ ﷺ، حَتَّىٰ

تستقيم لنا حياتنا، وَحَتَّىٰ تهنأ لنا عيشتنا، وَالنَّبِيّ ﷺ كما ثبت عنه قَالَ: «**إِنَّمَا بُعثت لأتمّم مكارم الأخلاق**»[١] ﷺ، وكما مر معنا قبل قليل في قوله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**».

☜ النَّبِيّ ﷺ ضرب أروع الأمثلة، كما حكته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كما جاء في البخاري عن الأسود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ حينما سألها، قَالَ: ما كان النَّبِيّ ﷺ يصنع في بيته وفي أهله؟ قالت: (**كان ﷺ في مهنة أهله، فإذا حضرت الصَّلَاة؛ قام إِلَىٰ الصَّلَاة**)[٢]، وجاء في رواية: أنَّ عروة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ لعائشة: ما كان رسول الله ﷺ يصنع في بيته؟ فقالت: (**كان يخيط ثوبه، ويخصف نعله، ويعمل ما يعمل اَلرِّجَال في بيوتهم**)[٣]، وجاء كذلك في رواية عن عمرة أنها سألت عائشة رضي الله عنها فقالت أم المؤمنين رضي الله عنها: (**ما كان إِلَّا بشرًا من البشر، كان يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه**)[٤]، قَالَ ابن بطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (**هذَا يدل عَلَىٰ أخلاق الأنبياء، وهو: التواضع، والبعد عن التنعم**).

* وجاء كذلك عن عمرة أنها سألت عائشة رضي الله عنها: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في بيته؟ فقالت: (**كان ألين النَّاس وأكرم النَّاس، وكان رجلًا من رجالكم، إِلَّا أَنَّه كان ضحَّاكًا بسَّامًا**)[٥] فهكذا كان ﷺ، كان يبتسم لأهله، وكان يضحك معهم، ويلعب معهم، ويداعبهم، ويلاطفهم عليه الصلاة والسلام ، فهكذا ينبغي عَلَىٰ المسلم أن يقتدي بهذه الأخلاق الجميلة الطيبة، حَتَّىٰ تستقر له حياته وتهنأ له عيشته.

* فقد كان نبيكم ﷺ يساعد أهله، ويعاونهم، ويكون في خدمتهم، يحلب شاته، ويرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويذهب كذلك إِلَىٰ السوق، ويجلب لهم الطعام، كما جاء في الحديث، إِلَىٰ آخر

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٣)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٧٦، ٦٠٣٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤٩٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٤٩٣٧).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٦١٩٤)، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (٩١٢٧).

(٥) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده (١٧٥٠)، وضعفه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (٩٨٦٧).

حياة النَّبِيّ ﷺ إذْ مات ودرعه مرهونة عند يهودي في طعامٍ قد اشتراه، وَهذَا لا يؤثِّر ولا يغض منه، ولا يجعل ذلك فيه منقصة عَلَىٰ الرجل، ولا يغض من شرفه ولا من قدره.

☜ يقول أهل العلم: فينبغي عَلَىٰ الإنسان أن يكون مع أهله خير صاحبٍ وخير محبٍّ وخير مربٍّ؛ لأنَّ الأهل أحق بحسن خلقك أَيُّهَا الأب، ويعني أحق بأن تعاملهم المعاملة الطيبة من غيرهم، والمسلم يبدأ بالأقرب فالأقرب، وصار حال كثيرٍ من النَّاس في هذِه الأزمنة أن تجده مع أهله شديدًا صعبًا سيء الخُلُق، ومع النَّاس تجده حسن الأخلاق، وَهذَا خلاف هدي النَّبِيّ ﷺ، والصواب في هذَا: أن يكون المسلم مع أهله حسن الخلق، وكذلك يكون مع غيرهم، لكن الأهل أقرب وهم أولىٰ بحسن خلقك.

☜ وَالنَّبِيّ ﷺ -كما مر معنا- قد أمرنا فَقَالَ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ»[1] والحديث في الصحيحين، فالمرأة خُلِقت وطُبعت عَلَىٰ هذَا النقص وَهذَا الأمر الَّذِي قد طُبعت وفطرت عليه، وَهذَا يدل عَلَىٰ حُسْن تبعُّلها؛ لذلك خلقها الله ﷻ عَلَىٰ هذِه الخلقة الَّتِي تناسبها، وهي فيها بالنسبة لها أمرٌ مستحسنٌ، ويرزقها كذلك حسن التَّبعُّل وحسن العشرة لزوجها، وجاء في رواية مسلم: أنَّ المرأة لا تستقيم لك أَيُّهَا الرجل عَلَىٰ حال، كما جاء في صحيح مسلم: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَىٰ طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا، كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا»[2] وَهذَا فيه الحضُّ عَلَىٰ الرفق بهؤلاء النساء وهؤلاء الزوجات، وكذلك مداراتهن وألَّا يتقصَّ الزوج عليهن يعني في أخلاقهن وانحراف طباعهن، فَهذَا الأمر قد فُطرت عليه المرأة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٨٦)، ومسلم في صحيحه (١٤٦٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٦٨).

✍ لذلك قَالَ ﷺ كما جاء في حديث أبي هريرة ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»(١) والحديث في صحيح مسلم، وَهذَا الإرشاد منه ﷺ للزوج في معاشرة زوجته من أكبر الأسباب والدواعي إِلَىٰ حُسن العشرة بالمعروف؛ لذلك نهاك أَيُّهَا المؤمن عن سوء العشرة وعن سوء التعامل، وكذلك أمر الرجل أن يلحظ ما في المرأة من الأخلاق الجميلة والأمور الَّتِي تناسبه، وأن يجعلها في مقابلة ما يكره من أخلاقها.

* فإنَّ الزوج إذا تأمَّل ما في زوجته من الأخلاق الجميلة والمحاسن الَّتِي يحبها، ونظر إِلَىٰ الْسَّبَب الَّذِي دعاه إِلَىٰ التَّضَجُّر منها وسوء عشرتها؛ رآه شيئًا يسيرًا، وما فيها مِمَّا يُحب أكثر، فإذا كان منصفًا؛ غضَّ عن مساوئها؛ لاضمحلال هذَا الأمر في محاسنها، وبهذا تدوم الصحبة، وتؤدَّىٰ الحقوق الَّتِي أمرك الله ﷻ بها، وربما أنَّ ما كره منها تسعىٰ بتعديله مع الوقت، أو بتبديله، وَأَمَّا من غضَّ كذلك من غضَّ الطرف عن المحاسن ولم يلتفت إِلَّا إِلَىٰ المساوئ ولو كانت قليلة؛ فَهذَا من عدم الإنصاف، ولا يكاد يصفو مع زوجته.

➢ وَالنَّاس كما يذكر أهل العلم، كما ذَكَرَ الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه **"بهجة قلوب الأبرار"**، يقول: **(وَالنَّاس في هذَا عَلَىٰ أقسام ثلاثة: أعلاهم: من لَحَظ الأخلاق الجميلة والمحاسن، وغضَّ عن المساوئ بالكلية وتناساها)** فَهذَا أعلىٰ النَّاس مرتبةً في العشرة الزوجية: من يَلْحَظ الأخلاق الجميلة الَّتِي هي موجودةٌ في شريكة حياته وفي زوجته، ويغض الطرف عن المساوئ بالكلية، ويتناساها؛ فَهذَا أعلاهم مرتبةً.

* يقول: **(وأقلهم توفيقًا وإيمانًا وأخلاقًا جميلةً، من عكس القضية، فأهدر المحاسن مهما كانت، وجعل المساوئ نصب عينيه، وربما مددها وبسطها وفسرها بظنون وتأويلات تجعل القليل كَثِيْرًا، كما هو الواقع.**

والقسم الثالث: من لحظ الأمرين، ووازن بينهما، وعامل الزوجة بمقتضىٰ كل واحد منها؛ وهذا منصف، ولكنه قد حُرِم الكمال.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٤٦٩).

وهذا الأدب الذي أرشد إليه ﷺ، ينبغي سلوكه واستعماله مع جميع المعاشرين والمعاملين؛ فإنَّ نفعه الديني والدنيوي كثير، وصاحبه قد سعىٰ في راحة قلبه، وفي السبب الذي يدرك به القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة؛ لأنَّ الكمال في الناس متعذر، وحسب الفاضل أن تعد معايبه، وتوطين النفس علىٰ ما يجيء من المعاشرين مِمَّا يخالف رغبة الإنسان، يسهِّل عليه حسن الخلق، وفعل المعروف والإحسان مع النَّاس. والله الموفِّق) انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن ينظر في حسن عشرته ﷺ، ومعاملته لزوجاته وأهله؛ سيجد أمرًا عجيبًا من كمال العشرة، وجمالها، وحسنها، فمع عظم مسؤولياته ﷺ إلَّا أنه كان يلاطف زوجاته، ويداعبهن، ويحسِن معاملتهن، كما قالت عائشة رضي الله عنها ونقلت عنه في أحاديث كثيرة، نعرض لبعضها ولشيءٍ منها:

عَلَىٰ سبيل المثال: تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **(كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَيَضَعُ فَاهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ فِيَّ)** أي: يضع النَّبِيّ ﷺ فمه عَلَىٰ مكان الإناء الَّذِي قد شربت من هذَا الموضع عائشة رضي الله عنها، **(فَيَضَعُ فَاهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ فِيَّ فَيَشْرَبُ، وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ)** يعني: تأكل الطعام أو اللحم وهي حائض، **(ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺ فَيَضَعُ فَاهُ عَلَىٰ مَوْضِعِ فِيَّ)**[(١)] والحديث في صحيح مسلم، فَهذَا النَّبِيّ ﷺ تأمَّل في حياته وفي حُسْن عشرته ومعاملته لزوجته رضي الله عنها، فتجد أنَّه كان يلاطفها، ويتحبَّب إليها، ويتودَّد إليها بمثل هذِه الأمور الَّتِي تجلب السعادة والسرور في نفس الزوجة.

وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: **(كَانَ رسول الله ﷺ يَتَّكِئُ فِي حَجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، ثُمَّ يَقْرَأُ الْقُرْآنَ)** [(٢)]، وكان ﷺ يقول: «**فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ**»[(٣)]،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٩٧)، ومسلم في صحيحه (٣٠١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٤٣٣)، ومسلم في صحيحه (٢٤٤٦).

ولمَّا سأله عمرو بن العاص عن أحب النَّاس إليه؟ قَالَ: «أحبُّ النَّاس إليَّ: عَائِشَة»[١]، وهكذا كان يصرِّح النَّبِيّ ﷺ بحبها، وكذلك كان النَّبِيّ ﷺ يناديها بأحبِّ الأسماء إليها، وكانت يعني كما جاء في بعض ألفاظ الحديث: كنَّاها النَّبِيّ ﷺ.

✍ فإذًا هذَا يدلكم معاشر الفضلاء عَلَىٰ أخلاقٍ جميلة، وعشرةٍ طيِّبةٍ هنيئةٍ كان عليها النَّبِيّ ﷺ لزوجاته.

وفي قول النَّبِيّ ﷺ لمَّا سُئل: من أحب النَّاس إليك؟ فَقَالَ: «عائشة»، هذَا لا يدل عَلَىٰ عدم مساواته بين زوجاته أو عدم عدله ﷺ، حاشاه عليه السلام، إذْ كان في أمر عدله مع زوجاته قد بلغ الغاية القصوىٰ في هذَا الأمر في مسألة العدل بين الزوجات، والعدل في القسمة بينهن، وَحَتَّىٰ أنَّ الله ﷻ لمَّا أنزل عليه قوله: ﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمٗا ٥١﴾ [الأحزاب: ٥١]، وَهذَا كان من الله ﷻ فيه التوسعة عَلَىٰ رسوله ورحمته به، أن أباح له ترك هذِه القسمة بين زوجاته عَلَىٰ وجه الوجوب، وأنه إن فعل ذلك؛ فهو تبرُّعٌ منه، ومع ذلك فقد كان ﷺ يجتهد في القسمة بينهن في كل شيء، ويقول: «اللهمَّ هذا قَسْمِي فيما أَمْلِكُ فلا تَلُمْنِي فيما لا أَمْلِكُ»[٢]؛ لذلك لمَّا قَالَ الله ﷻ: ﴿۞ تُرۡجِي مَن تَشَآءُ﴾ أي: تؤخِّر من أردت من زوجاتك فلا تؤويها إليك ولا تبيت عندها، ﴿وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ﴾ أي: تضمها وتبيت عندها، ومع ذلك النَّبِيّ ﷺ كان يعدل بينهن مع وجود التوسعة عليه ﷺ في هذَا الأمر.

* ومن أهل العلم من ذهب في تفسير هذِه الآية قَالَ: يعني: أنَّ هذَا خاصٌّ بالواهبات أنفسهن له ﷺ، له أن يرجي من يشاء ويؤوي من يشاء، أي: إن شاءت هذِه المرأة الَّتِي وهبت نفسها له، إن شاءت قبلت بهذا، ويعني إن شاء لم يقبل بمسألة المبيت عندها، فالأمر ليس فيه وجوب عَلَىٰ النَّبِيّ ﷺ.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٩٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٨٩٠).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه (٢١٣٤)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢١٣٤).

✍ **الشاهد من هذا:** أنَّ النَّبِيّ ﷺ مع وجود التوسعة عليه في هذَا الأمر إلَّا أنه كان يعدل بينهن أيّما عدلٍ، ومسألة العدل ما وقفت عند النَّبِيّ ﷺ في مسألة مثلًا المبيت، أو مسألة النَّفَقَة، أو الكسوة، بل شمل ذلك حَتَّىٰ مسألة التعاهد والمؤانسة، وَالنَّبِيّ ﷺ كما ثبت عنه أنه كان بعد صلاة العصر أو كما جاء في بعض الأحاديث: بعد صلاة الصبح كان يدور عَلَىٰ نسائه ويتعاهدهن، وينظر في أحوالهن وشؤونهن عليه السلام، وَهذَا منه عليه السلام فيما يستطيعه، وَأَمَّا مسألة الميل القلبي؛ فَهذَا لم يوجبه الله ﷻ عَلَىٰ عباده: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]؛ لذلك قَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ هَذَا قَسْمِي فِيمَا أَمْلِكُ، فَلَا تؤاخذني فِيمَا تَمْلِكُ وَلَا أَمْلِكُ»، وهكذا ضرب النَّبِيّ ﷺ أروع الأمثلة في هذَا الأمر.

☚ **كذلك لَا بُدَّ أن نشير هنا إِلَىٰ مسألةٍ أخرىٰ، وهي:** مسألة التوسعة عَلَىٰ الأهل، والتوسعة عَلَىٰ العيال، وَهذَا ما كان يفعله النَّبِيّ ﷺ كما تحكيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول: **(كُنْتُ أَلْعَبُ بِالْبَنَاتِ فِي بيت النَّبِيِّ ﷺ، وكُنَّ لِي صَوَاحِبُ فيَلْعَبْنَ مَعِي، فينقمعن إذا رأين رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ يسربهن إليَّ فيلعبن معي)** وَهذَا منه عليه السلام مراعاة لما يكون فيه من التوسعة عَلَىٰ الأهل وعَلَىٰ العيال، فَلَا بُدَّ للمسلم أن يراعي هذَا الجانب، وخاصةً أنَّ عائشة رضي الله عنها كانت صغيرةً في السن؛ ولذلك كان النَّبِيّ ﷺ يراعيها أيما مراعاة عليه السلام.

* تقول أم المؤمنين رضي الله عنها: **(دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِغِنَاءِ بُعَاثَ، فَاضْطَجَعَ)** النَّبِيّ ﷺ **(عَلَىٰ الفِرَاشِ، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ، وَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَانْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارَةُ الشَّيْطَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «دَعْهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزْتُهُمَا فَخَرَجَتَا)**[1] تقول: يعني غمزت هاتين الجاريتين فخرجتا.

* **(وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالدَّرَقِ وَالحِرَابِ)** تشير إِلَىٰ ما كان يلعب به الحبشة في المسجد، وكانت تود أن تنظر إليهم، تقول: **(فَإِمَّا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِمَّا قَالَ: «تَشْتَهِينَ تَنْظُرِينَ؟»)**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٤٩)، ومسلم في صحيحه (٨٩٢).

يعني: هل تريدين أن تنظرين إليهم وهم يلعبون؟ (فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَىٰ خَدِّهِ) وانظر إِلَىٰ ملاطفة النَّبِيّ ﷺ هنا إِلَىٰ زوجته، وعدم قسوته، وعدم شدته عليها، تقول: (فَأَقَامَنِي وَرَاءَهُ، خَدِّي عَلَىٰ خَدِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفِدَةَ» حَتَّىٰ إِذَا مَلِلْتُ، قَالَ: «حَسْبُكِ؟») يعني: هل اكتفيت بهذا؟ تقول: (نَعَمْ، قَالَ: «فَاذْهَبِي»)[١] والحديث في البخاري ومسلم.

فَالنَّبِيّ ﷺ كان جميل العشرة، حسن المعاملة، خاصةً مع أهله ومع زوجاته رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ.

* يقول كذلك النَّبِيّ ﷺ ملاطفًا ومداعبًا لزوجته رضي الله عنها عائشة أم المؤمنين، يقول: «إِنِّي لَأَعْلَمُ إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَىٰ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: مِنْ أَيْنَ تَعْرِفُ ذَلِكَ؟ فيقول: «أَمَّا إِذَا كُنْتِ عَنِّي رَاضِيَةً، فَإِنَّكِ تَقُولِينَ: لَا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ، وَإِذَا كُنْتِ عَلَيَّ غَضْبَىٰ، قُلْتِ: لَا وَرَبِّ إِبْرَاهِيمَ»، فضحكت رضي الله عنها وقَالَتْ: (قُلْتُ: أَجَلْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَهْجُرُ إِلَّا اسْمَكَ)[٢]. وَهذَا يدلُّ عَلَىٰ شدة محبتها للنبي ﷺ، وأنَّها مهما كانت غضبىٰ إِلَّا أنها لا تهجر إِلَّا الاسم رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ وَأَرْضَاهُنَّ.

☚ **كذلك من جميل عشرته** ﷺ: ما جاء في سيرته وفي صحبته لهنَّ وحسن معاملته لهن: ما جاء عن صفيَّة رضي الله عنها لمَّا كانت في سفر، كما جاء في الحديث الصحيح، كانت رضي الله عنها مع النَّبِيّ ﷺ في سفر، وكان ذلك اليوم يومها، فأبطأت في المسير، فاستقبلها النَّبِيّ ﷺ وهي تبكي، وتقول: (حَمَلْتَنِي عَلَىٰ بَعِيرٍ بَطِيءٍ، فَجَعَلَ النَّبِيّ ﷺ يَمْسَحُ بِيَدَيْهِ عَيْنَيْهَا وَيُسْكِتُهَا)[٣] النَّبِيّ ﷺ هكذا كان لطيفًا طيِّب العشرة، حسن المعاملة مع زوجاته رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ، لمَّا رآها رضي الله عنها تبكي عاملها بهذه المعاملة الطيبة، وجعل يعني يكفكف دمعها ويمسح بيديه عينيها، ويسكتها ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٥٠)، ومسلم في صحيحه (٨٩٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٢٨)، ومسلم في صحيحه (٢٤٣٩).

(٣) أخرجه النسائي في سننه الكبرىٰ (٩١١٧).

* وهكذا جاء في حديث أنسٍ في البخاري قَالَ: (فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رضي الله عنها رِجْلَهَا عَلَىٰ رُكْبَتِهِ حَتَّىٰ تَرْكَبَ)[1] أي: حَتَّىٰ تركب الدَّابَّة، وَهذَا من تواضعه وكمال أخلاقه ﷺ، وصدق ربنا: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

* وجاء عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان ﷺ إذا مرض أحد أهل بيته نفث عليه بالمعوذات)[2] وَهذَا من حنانه ﷺ وتلطفه بأهله، ومراعاته لأحوالهم مهما كانوا في أحوالهم من صحةٍ أو مرض أو نحو ذلك، فكانت إذا مرضت أو مرض أحد أهل بيته من أهله أو من أبنائه؛ جاء النَّبِيّ ﷺ ونفث عليهم بالمعوذات، وهكذا ينبغي عَلَىٰ المسلم أن يعتني بأهله وبأبنائه إذا مرض أحدهم، فيراعي حاله ويطمئن عَلَىٰ صحته، ويقوم بالرقية الشَّرْعِيَّة له، وتعاهده، هذَا الَّذِي كان عليه نبيكم ﷺ، وجاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كُنْتُ إِذَا اشْتَكَيْتُ رَحِمَنِي وَلَطَفَ بِي).

☜ **وكذلك من حُسْن عشرته ﷺ وملاطفته لزوجاته**: ما جاء في مسابقته لزوجته عائشة رضي الله عنها، ولمَّا قَالَ لها: تعالي أسابقك، فكانت في تلك الفترة صغيرة في السن، خفيفة اللحم، فسبقت النَّبِيّ ﷺ، ثُمَّ لمَّا مر الوقت ومرت السنون وَبَعْد ذلك أمرها النَّبِيّ ﷺ وطلب منها أن تسابقه، وكانت قد حملت اللحم يعني: بأنه ازداد وزنها ونحو ذلك، فسابقها النَّبِيّ ﷺ فسبقها، فَقَالَ لها ممازحًا لها: «هذِه بتلك»[3] ملاطفةً لها ﷺ.

* وكان عليه السلام إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها عليه السلام، وكان عليه السلام كذلك وفيًّا لزوجاته، كان ﷺ إذا ذبح شاةً يقول: «أرسلوا بها إِلَىٰ أصدقاء خديجة» رضي الله عنها مع أنها قد ماتت منذ سنوات، إِلَّا أنَّ النَّبِيّ ﷺ لم ينسَ حسن عشرتها وحسن معاملتها له عليه السلام، وحسن كذلك

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢٢٣٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٩٢).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه (٢٥٧٨)، وأحمد في مسنده (٢٦٢٧٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢٥٧٨).

وقوفها ومؤازرتها ومساندتها للنبي ﷺ، وكان يقول: «إِنِّي رُزقت حُبها»، ولمَّا توفيت خديجة رضي الله عنها كان دائم الذِّكْر لها والثناء عليها، حَتَّىٰ إنَّ عائشة رضي الله عنها قد غارت منها، وكان ﷺ يبرّ بحبيبات خديجة وصديقاتها، فكان يذبح الشاة ويقول: «أرسلوا إِلَىٰ صديقات خديجة»[١] كما جاء في الصحيح.

* وكان ﷺ كما تحكي أم المؤمنين عائشة قالت: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ: لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَنْتِ؟» قَالَتْ: أَنَا جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، فَقَالَ: «بَلْ أَنْتِ حَسَّانَةُ الْمُزَنِيَّةُ، كَيْفَ أَنْتُمْ؟ كَيْفَ حَالُكُمْ؟ كَيْفَ كُنْتُمْ بَعْدَنَا؟» قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ هذِه المرأة تسأله عائشة رضي الله عنها، فلمَّا خرجت تقول عائشة: يَا رَسُولَ اللهِ، تُقْبِلُ عَلَىٰ هَذِهِ الْعَجُوزِ هَذَا الْإِقْبَالَ؟ فَقَالَ: «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»[٢] والحديث في الصحيحة.

انظر إِلَىٰ نبيِّك ﷺ وجمال عشرته، وحسن أخلاقه ﷺ، وبهذا ينبغي عَلَىٰ المسلم أن يقتدي وأن يتأثر.

☚ **ومن أخلاقه وحسن تعامله** ﷺ: أنه كان طيِّب الريح، طيِّب الثياب، طيِّب المعاملة ﷺ، كان إذا دخل بيته بدأ بالسواك، وَهذَا منه ﷺ إشارة إِلَىٰ أمرٍ هام، وهو: أنه كما أنت تحب من المرأة المنظر الجميل والرائحة الطيبة؛ فلذلك ينبغي عَلَىٰ الزوج كذلك مراعاة هذَا الجانب، وهو: أنَّ النَّبِيّ ﷺ كان يبدأ بالسواك؛ مراعاةً لطهارة الفم، وحسن رائحته، قَالَ كما جاء كذلك في حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كأني في حال إحرام النَّبِيّ ﷺ، كأني أنظر إِلَىٰ وبيص المسك في مفرق

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٤٣٥).

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٤٠) وقال: "هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ فَقَدِ اتَّفَقَا عَلَىٰ الِاحْتِجَاجِ بِرُوَاتِهِ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ" ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢١٦).

رسول الله ﷺ وهو محرم، وَهذَا يدلك عَلَىٰ أنَّ النَّبِيّ ﷺ كان يهتم بهذا الأمر، وهو: حُسن الرائحة وطيبها.

* وكذلك جاء عن أنسٍ ﷺ قَالَ: (**مَا شَمَمْتُ عَنْبَرًا قَطُّ، وَلَا مِسْكًا، وَلَا شَيْئًا أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا مَسِسْتُ شَيْئًا قَطُّ دِيبَاجًا، وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مَسًّا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ**)[١].

* وجاء كذلك في حديث جابر بن سمُرة أنه ﷺ مسح خده، قَالَ: (**فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْدًا أَوْ رِيحًا كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُؤْنَةِ عَطَّارٍ**)[٢] يعني: دلالة عَلَىٰ جمال هذِه الرائحة وطيبها.

* وكذلك لمَّا ذهب إِلَىٰ دار أنس، فنام النَّبِيّ ﷺ في داره، فعرق النَّبِيّ ﷺ، فجاءت أمه -أم أنس- بقارورة، فجمعت فيها عرقه ﷺ، وقالت: (**نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب**)[٣] وهو دلالة عَلَىٰ تبرّكهم بعرقه ﷺ، وَهذَا إِنَّمَا هو خاصٌّ بالأنبياء عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لطيب ظاهرهم وباطنهم عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

☚ **كذلك من الأمور الَّتِي ينبغي عَلَىٰ المسلم مراعاتها**: ما كان عليه النَّبِيّ ﷺ من حسن الكلام وحُسن الخطاب للنَّاسِ، وبخاصة لأهله، قالت عائشة رضي الله عنها: (**لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وَلَا سَخَّابًا بِالْأَسْوَاقِ، ولا يجزئ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، ولكن يعفو ويصفح**)[٤] أي: أنَّ هذَا خُلقه ﷺ، ما كان فاحشًا ولا مُتَفَحِّشًا، بل كان كلامه جميل، وألفاظه ومنطقه جميل.

* قالت رضي الله عنها: (**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ**)[٥] رواه مسلم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٣٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٢٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٣١).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٢٠١٦) وقال: "حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ"، وأحمد في مسنده (٢٥٤١٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٢٠١٦).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٣٢٨).

* وقالت رضي الله عنها: (مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِنَفْسِهِ قط إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ)[١] وَهذَا يدل عَلَىٰ حياته ﷺ، واختياره للأيسر والأفضل لأهله وأسرته.

* وكان ﷺ يحذِّر الرِّجال أيما تحذير: «لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُضَاجِعهَا من آخِرِ اللَّيْلِ»[٢] فهكذا يجب عَلَىٰ المسلم أن يقتدي بهذه الأخلاق الجميلة، وَهذِه المعاملات الطيبة الَّتِي كان عليها نبيكم ﷺ.

☚ **كذلك من الأمور الهامة الَّتِي ينبغي عَلَىٰ الزوج الالتفات لها**: وهي مسألة تعاهد الزوجة بمسألة النُّصح والدلالة عَلَىٰ الخير والدلالة عَلَىٰ شرع الله ﷻ، كما كان منه عليه السلام، في قوله: «أَيْقِظُوا صَوَاحِبَ الْحُجُرَاتِ فَرُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٣]، يحثهن عَلَىٰ المحافظة عَلَىٰ الصَّلَاة، وبخاصة صلاة اَللَّيْل، والمحافظة عَلَىٰ الفروض، وأداء ما أوجب الله ﷻ عليهن.

* وكذلك كان ﷺ يرشد أهله ويرشد بناته عليهن السلام لما فيه الخير لهنَّ، كما حصل وأن طلبت منه فاطمة رضي الله عنها الَّتِي كان يحبها ويقول: «فاطمة بضعةٌ مني»[٤] أي: أنها قطعة مني، لمَّا طلبت منه خادمًا أرشدها إِلَىٰ ما هو خير لها من خادم، وَقَالَ: «إِذَا أَخَذْتِ مَضْجَعَكِ فَكَبِّرِي أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ، وَسَبِّحِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَاحْمَدِي ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ»[٥] يشير بها إِلَىٰ ما فيه الاستعانة بالله، وَالتَّوَكُّل عَلَىٰ الله ﷻ، وإن كان الأمر مباحًا، لكنه ﷺ يرشدها إِلَىٰ ما فيه الخير والرفعة لها من هذَا، يعني: من هذَا السؤال.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٥٦٠)، ومسلم في صحيحه (٢٣٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٨٤٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣٧١٤)، ومسلم في صحيحه (٢٤٤٩).

(٥) أخرجه أبو داود في سننه (٢٩٨٨)، وأحمد في مسنده (١٣١٣)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢٩٨٨).

* كذلك ﷺ كان يوسِّع عَلَىٰ أهله في النَّفَقَة، ويحثُّ النَّاس ويحثُّ اَلرِّجَال عَلَىٰ مسألة النَّفَقَة، وعدم البخل عَلَىٰ زوجاتهم، فَقَالَ ﷺ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا إِلَىٰ فِي امْرَأَتِكَ»[1] يعني: أنَّك تنال عليها الأجر والثواب من الله ﷻ.

☚ **ومن الأمور كذلك الهامة الَّتِي ينبغي عَلَىٰ المسلم الالتفات لها من سيرته** عليه السلام: هو عدم الشَّكّ في المرأة الصالحة الطيبة، وعدم ترك الوساوس تتلاعب بك أَيُّهَا المسلم؛ لذلك نهىٰ النَّبِيّ ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلًا لئلا يخونهم، أو يلتمس عثراتهم، وكذلك جاء في بعض الروايات قَالَ: «أَمْهِلوا حَتَّىٰ تَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ، وَتَسْتَحِدَّ الْمُغِيبَةُ»[2] حَتَّىٰ يعني تستعد لاستقبالك أَيُّهَا الزوج إذا كنت قادمًا من مكانٍ بعيد.

☚ **وهكذا كذلك ما جاء من حُسن عشرته** ﷺ وتلطفه بزوجاته، وحسن معالجته للأخطاء، من ذلك: ما جاء عند البخاري وغيره من حديث أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: (كَانَ رسولُ اللهِ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَىٰ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ) فقامت زوجته رضي الله عنها وهي عائشة رضي الله عنها قامت (فَضَرَبَتِ الصَّحفة، فكسرتها، فانفلقت الصحفة فلقتين، فَجَمَعَ رسول الله ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ، غَارَتْ أُمُّكُمْ»)[3] انظر إِلَىٰ بساطته ﷺ، في حل مثل هذِه المواضيع وحل هذِه الخلافات، وَقَالَ لها: «طعامٌ بطعام، وإناءٌ بإناء» حصل منه ﷺ التلطف في الإنكار، وحُسن معالجة الأمر بكل هدوء ويسر، وكذلك إرجاع الحقِّ لصاحبه.

* وكذلك جاء من حديث النعمان بن بشير قَالَ: (اسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ صَوْتَ عَائِشَةَ عَالِيًا، فَلَمَّا دَخَلَ تَنَاوَلَهَا لِيَلْطِمَهَا) لكنها احتمت بالنبي ﷺ، وَقَالَ لها: (أَلَا أَرَاكِ تَرْفَعِينَ صَوْتَكِ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ رسول الله ﷺ يَحْجِزُهُ عنها، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه غاضبًا من فعل عائشة رضي الله عنها ورفعها لصوتها، فالتفت النَّبِيّ ﷺ إِلَىٰ عائشة وَقَالَ لها: «كَيْفَ رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ مِنَ الرَّجُلِ؟»

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦٧٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٠٧٩)، ومسلم في صحيحه (٧١٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥٢٢٥).

فضحكت وضحك النَّبِيّ ﷺ، وانتهىٰ عند هذَا المشكلة، فسمع أبو بكر ﷺ ضحكهما، فَقَالَ: (أَلَا تَدْخِلَانِي فِي سِلْمِكُمَا كَمَا أَدْخَلْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ فَعَلْنَا، قَدْ فَعَلْنَا»)[1]، فَالنَّبِيّ ﷺ بهذه المعاملة الطيبة احتوىٰ هذِه المشكلة، وحلَّها بأيسر أسلوبٍ وأجمله وألطفه بما يترك الأثر الطيب عَلَىٰ زوجته.

* وهكذا لما قالت حفصة وعائشة رضي الله عنهما لصفية إنها ابنة يهودي، أو كما جاء في الحديث، فَقَالَ النبي ﷺ لصفية: «وَإِنَّكِ لَابْنَةُ نَبِيٍّ، وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ، فَفِيمَ تَفْخَرُ عَلَيْكِ؟» ثُمَّ قَالَ لحفصة رضي الله عنها: «اتَّقِي اللهَ يَا حَفْصَةُ»[2]، فهكذا النَّبِيّ ﷺ كان يراعي هذِه الأمور، ويراعي أمر حل المشكلات والخلافات الزوجية بأيسر أسلوبٍ وأجمله وألطفه بما لا يترك كذلك أثرًا عَلَىٰ جميع الأطراف، وفي نفس الوقت يأمر المخطئ بالرجوع بأسلوبٍ جميلٍ ومؤثِّرٍ فيه حَتَّىٰ يرجع إِلَىٰ الله ﷻ.

* وهكذا لمَّا ارتفع صوت زوجة عمر رضي الله عنهم أَجْمَعِيْنَ، ارتفع صوتها عَلَىٰ صوت عمر، فَقَالَ عمر: (فَأَنْكَرْتُ أَنْ تُرَاجِعَنِي) فقالت: (ما تُنْكِرُ أَنْ أُرَاجِعَكَ، فَوَاللهِ إِنَّ أَزْوَاجَ النبيِّ ﷺ لَيُرَاجِعْنَهُ، وَتَهْجُرُهُ إِحْدَاهُنَّ اليومَ إلىٰ اللَّيْلِ) لكن النبي ﷺ كان في مثل هذِه المسائل يحلها بأسلوبٍ جميلٍ وأمرٍ طيبٍ حَتَّىٰ يؤثِّر في هذَا الشخص الَّذِي قد حصل منه الخطأ، فيرجع إِلَىٰ ربه ﷻ، ويتوب مِمَّا قد فعل، ويعالج هذَا الخطأ الَّذِي حصل منه، وفي نفس الوقت يكون أثر هذَا الأمر عَلَىٰ نفسه طيبًا، وتنعكس هذِه المعاملة الجميلة من النَّبِيّ ﷺ عَلَىٰ زوجاته، وتعود عليهن بالنفع والخير والبركة.

✍ يعني: هذِه الأمور لو أردنا أن نستقصي البحث والكلام فيها؛ فالكلام فيها معاشر الإخوة والأخوات، الكلام يطول جدًّا، لكن في الإشارة كفاية بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَىٰ، ومن كان يريد صلاح حاله وحسن حياته مع زوجاته، وكذلك بالنسبة للمرأة إن أرادت استقامت حالها وحسن معيشتها مع

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (٤٩٩٩)، وضعفه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤٩٩٩).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه (٣٨٩٤)، وقال: "هذا حديثٌ حسن صحيح غريب من هذا الوجه"، وأحمد في مسنده (١٢٣٩٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٨٩٤).

زوجها؛ لَا بُدَّ لها من مراعاة هذِه الجوانب، فلو نظرنا نحن في سيرة النَّبِيّ ﷺ؛ سنجد أنَّ سيرته عطرة ﷺ، ومعاملته لزوجاته كانت أحسن ما يكون من تعاملٍ، وأحسن ما يكون من عشرة، وأجمل ما يكون، وألطف ما يكون من تعامل مع الزوجات.

وهكذا عَلَىٰ المرأة أن تنظر إِلَىٰ زوجات النَّبِيّ ﷺ، وتتأمَّل في حال هؤلاء الزوجات الطيبات الطاهرات، كيف كانت الواحدة منهن مع معاملتها للنبي ﷺ، وكيف كانت تقدِّم قول النَّبِيّ ﷺ عَلَىٰ قولها، ولو بلغت الغيرة بها ما بلغت، لكن مع ذلك تقدِّم قول الله وقول رسوله ﷺ عَلَىٰ ما تريده النَّفْس، وعَلَىٰ ما تشتهيه النَّفْس؛ لذلك كانت زوجات النَّبِيّ ﷺ هن الزوجات الطيبات الطاهرات اللاتي مدحهن الله ﷻ، وأثنىٰ عليهن في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فكُنَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ خير زوجاتٍ في تعاملهن، وفي حسن عشرتهن للنبي ﷺ.

✍ **فينبغي عَلَىٰ المسلمة**: أن تراعي هذِه الجوانب، وأن تتأثَّر بهذه الأخلاق الجميلة الَّتِي كانت عليها زوجات النَّبِيّ ﷺ، وكيف أنَّها كانت تُقدِّم قول الله وقول رسوله عَلَىٰ قولها، وكيف أنها كانت تسارع بالتوبة والاستغفار والرجوع إِلَىٰ الحق، ولا تتمادىٰ في الباطل؛ لذلك كله علينا معاشر الفضلاء أزواجًا وزوجات؛ علينا معاشر الإخوة والأخوات أن نتوب إِلَىٰ الله ﷻ، ونرجع إليه في أعمالنا كلها، ونقتدي بهذه السيرة العطرة الَّتِي كان عليها نَبِيُّنَا ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

وبهذا القدر نكتفي.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ.

نسأل الله ﷻ أن يوفِّقنا وَإِيَّاكُمْ للعلم النافع، والعمل الصالح، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】
https: / /twitter.com /BaynoonaNet
② 【 تيليجرام Telegram 】
https: / /telegram.me /baynoonanet
③ 【 فيسبوك Facebook 】
https: / /m.facebook.com /baynoonanetuae /
④ 【 انستقرام Instagram 】
https: / /instagram.com /baynoonanet
⑤ 【 واتساب WhatsApp 】
احفظ الرقم التالي في هاتفك
☏ https: / /api.whatsapp.com /send?phone=971555409191
أرسل كلمة "اشتراك"
تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك
((لن تتمكن من استقبال الرسائل))
⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】
لأجهزة الأيفون
https: / /appsto.re /sa /gpi5eb.i
لأجهزة الأندرويد
https: / /goo.gl /nJrA9j
⑦ 【 يوتيوب Youtube 】
https: / /www.youtube.com /c /BaynoonanetUAE
⑧ 【 تمبلر Tumblr 】
https: / /baynoonanet.tumblr.com /
⑨ 【 بلوجر Blogger 】
https: / /baynoonanet.blogspot.com /
⑩ 【 فليكر Flickr 】
https: / /www.flickr.com /photos /baynoonanet /
⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】
لأجهزة الأيفون
https: / /goo.gl /Q8M7A8
لأجهزة الأندرويد
https: / /goo.gl /vHJbem

【 Vk في كي 】
https: / /vk.com /baynoonanet
【 Linkedin لينكدان 】
https: / /www.linkedin.com /in /٦٦٩٣٩٢١٧١-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【 Reddit ريديت 】
https: / /www.reddit.com /user /Baynoonanet
【 chaino تشينو 】
https: / /www.chaino.com /profile?id=5ba33e0c772b23d5bb7daf0a
【 Pinterest بنترست 】
https: / /www.pinterest.com /baynoonanet /
【 Snapcha سناب شات 】
https: / /www.snapchat.com /add /baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https: / /apple.co /33uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https: / /goo.gl /WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https: / /apple.co /2Zvk8OS
لأجهزة الأندرويد
https: / /bit.ly /3fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http: / /www.baynoona.net /ar /

حقوق الطبع محفوظة

للمزيد من التفريغات

يرجى مسح الكود أو اتباع الرابط التالي

https://www.baynoona.net/ar/all-tafrighat